مظاهر النمو الإنفعالي في المراهقة

إن المراهقة تمتاز كما أسلفت بأنها مرحلة نمو سريع يتناول شخصية المراهق من جميع جوانبها، وإن الجانب النفسي له من الأهمية والظهور ما للجانب الجسمي في هذه المرحلة فلم يعد المراهق صبي الأمس الذي يؤمر ولا يقبل منه غير الإستجابة دون نظر إلى تبصيره بطبيعة موضوع الأمر وضرورته وأهميته وما يحققه من فوائد له ولمجتمعه، فحسبه الإستجابة فإذا ما رفض تعرض لما يتعرض له المخالفون ،وعلى الرَّغم من أنّا نرفض هذا الأسلوب في التوجيه والتربية لما يترتب عليه من الضرر يؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة على شخصية الصبي، فإن المراهق تختلف نوع استجابته عن استجابة الصبي، كما أن تكرار الموقف السلوكي السابق لا ينتهي أثره بانتهائه بل يظل يعتمل بالنفس، وأنه ليحتدم الصراع النفسي مع كل موقف مشابه، ذلك أن تغيراً وتميزاً نفسياً نلاحظه في حياة المراهق كماً وكيفاً، كما بمعنى أن إنفعالات المراهق تكثر وتتنوع، وكيفاً بمعنى أن استجاباته للمثيرات تختلف عن استجاباته في مرحلة الصبا.

إن كثرة وتنوع إنفعالات المراهق ناشيء طبيعي للطور النمائي الذي يمر به، لما ينشأ عنه من طاقات واستعدادات وقدرات جسمية وعقلية، وإنها لتتفاعل فيما بينهما لتكميل شخصية المراهق، إذا ما

صادفتها بيئة أسرية وإجتماعية تدرك طبيعة المراهق كمرحلة نمائية ذات خصائص مختلفة عن مراحل العمر السابقة، فيعامل المراهق بما ينمي هذه الخصائص ويوجهها نحو تحقيق الخير للفرد والمجتمع، وهذا يجنب المراهق والمجتمع مخاطر الصراعات النفسية، التي تعتبر بحق ناشيء طبيعي لأساليب التربية الخاطئة ولتصور المراهق الخاطىء لذاته ولشخصيته، حيث تتركز إنفعالات المراهق حول ذاته ومكانته الإجتماعية، ومنشأ ذلك ملاحظة المراهق للتغيرات التي طرأت على ذاته الجسمية، فهو ينتظر من الأسرة أن تراعي هذه التغيرات، فتتعامل معه بصورة تتلاءم مع مظاهر النمو الذي بدت معالمه على شخصيته.

يترقى انفعال المراهق منذ بداية هذه المرحلة النمائية في السير قدماً نحو الإنفعال المركب بعد الوحدة، أو الإنفعال المعقد بعد البسيط.

إن إنفعالات الطفولة تتميز بالوحدة أي بالموقف الواحد الذي أثار الإنفعال بينما المثير الواحد في المراهقة قد يثير أكثر من إنفعال، بأن يثير إنفعالين أو أكثر وهذا ما يقصد بالإنفعال المركب، كما مر بنا أثناء الحديث عن الإنفعال المركب الذي عرض لنبي الله موسى في المواقف التي شهدها مع الخضر عليهما السلام.

إن إنفعلات الطفولة تكون مثيراتها مادية محسوسة بينما تكون في المراهقة مادية ومعنوية أو مادية معنوية في آن واحد.

إن إنفعالات الطفولة محدودة، بينما في المراهقة تختلف وتتمايز عنها في كثير من النواحي، حيث تكثر وتتنوع وتزداد حدة الإنفعالات خاصة في بواكير هذه المرحلة فنلاحظ عدم الإتزان الإنفعالي بوضوح أكثر، حيث نجد المراهق يثور لأبسط الأسباب،

ويعجز عن التحكم في المظاهر الخارجية الدالة على حدة الإنفعال، فينطلق ثائراً صارخاً أو باكياً.

إن إنفعال حب الذات من أقوى انفعالات هذه المرحلة، لذا يعني المراهق بذاته الجسمية، ويصرف كل جهده للتحلي بالصفات التي تجذب انتباه الآخرين إليه، وهنا تأتي أهمية التوجيه المنظم من الأسرة والمدرسة ومؤسسات التربية الأخرى، لكي يتمكن المراهق من التكيف النفسي مع بيئته الأسرية والإجتماعية، فيتخطى هذه المرحلة التي تتميز بصعوبة التكيف وعسر التوافق في حال ضعف التربية أو اضطراب برامجها ومناهجها، أو انحسارها في أحد عوامل نمو الشخصية المراهقة، فإذا تهيأ له المربي الصالح الذي يساعده على الفهم الصحيح لذاته، ويساعده في بناء وتقويم أفكاره بأسلوب تربوي لا يشعر معه بالتدخل المباشر في شؤونه الخاصة، فإن هذا المستوى من التوجيه والتربية سوف يساعد المراهق على تخطي هذه المرحلة في أمان وسلام، كما يجنبه مخاطرها النفيسة كالقلق واليأس، كما أن التربية السليمة تجنبه أيضاً المخاطر التي تنشأ من الحب المفرط للذات، وذلك مثل انفعال العجب والغرور والكبر... الخ.

١ ـ انفعال العجب:

إنفعال العجب من أبرز الإنفعالات التي يتعرض لها المراهق في هذه المرحلة النمائية التي تشمل جميع جوانب شخصيته ـ ذاته الجسمية ـ طاقاته النفسية ـ قدراته العقلية والإنشائية ـ ميوله ورغباته وإمكاناته الإجتماعية إلى غير ذلك من مظاهر النمو.

لقد أكدت كثير من الدراسات النفسية أن المراهق يعطي ذاته الجسمية جهداً أكبر حيث يأتي إهتمامه بها في الدرجة الأولى من اهتماماته، إذ يعتبرها مركزاً لدائرة الجذب نحو شخصيته، وينشأ

العجب عندما تستولي الذات الجسمية على تفكير المراهق، فتكون شغله الشاغل، فيأخذ في المقارنة بين ذاته الجسمية وذوات أقرانه، وكلما كان نصيبه من التفوق والتمييز أكثر كلما كان عرضة لإنفعال العجب، فيكثر من الحديث عن ذاته الجسمية وصفاته ومبلغ امكانياته ومستوى مهاراته، وكثيراً ما يدفعه ذلك إلى التحدي في المجالات التي تتميز بها مهاراته وإمكانياته، وإذا ما كانت نتيجة التحدي والتباري لصالحه، إزداد إعجاباً وتعجيباً بذاته، فيتحدث عن مستوى نضارته وبروز عضلاته وتمام صحته وكمال قوته وتناسق أعضائه، وتناسب صوته ودقته واكتمال هيئته[1].

هذا ولا يقف إعجاب المراهق عند ذاته الجسمية إنما يتعداها إلى قدرته العقلية، وبيئته الأسرية ومكانته الإجتماعية.

قد يعجب المراهق بقدراته العقلية وخاصة القدرات الطائفية منها، فإن كان ذا قدرة على التحليل والتعليل والإستقرار والقياس استعلى بذلك على بعض أقرانه ممن تنحدر عندهم هذه الملكات العقلية، وإن كانوا يتمتعون بقوة الحافظة، مما يعينهم على سرعة التذكر والإستدعاء، لكن المراهق المعجب لا يلتفت لتميز غيره عنه في قدرات عقلية أخرى، فيحاول إثبات أن ما يمتاز به من قدرات أجدى وأنفع، ويظهر عجبه في صورة استبداد بالرأي، فيترك المشورة ولا يأخذ بالنصيحة، ولا يقيم لرأي مخالفة وزناً ولا يعرف له حقاً.

ويعجب المراهق بنسب أسرته ومنزلتها الإجتماعية وكثرتها العددية وثرائها المالي وما تملكه من عوامل الإقتصاد.

وهنا تأتي أهمية التوجيه والتربية الإسلامية، فيتبصر المراهق

---

(١) انظر علم النفس أصوله وتطبيقاته (صـ ١١٢) د/ مصطفى فهمي وانظر علم النفس الإجتماعي (صـ ٧٦) د/ مصطفى فهمي، د/ محمد القطان.

حقيقة نفسه ويعلم أن النعم التي يرفل فيها من جمال الصورة وتناسق الأعضاء وتمام الصحة وإكتمال الهيئة، تستوجب شكر المنعم عز وجل، فإن الشكر يزيد النعم، وأن العجب والخيلاء والإستعلاء على الآخرين مفسد لها ومضيع، وأن التواضع لأفراد المجتمع وبذل المعونة لهم ومشاركتهم في آمالهم وآلامهم باب من أبواب الشكر على النعمة، وأن العجب إنفعال يدل على اضطراب الشخصية في جانبها العقلي والنفسي، وأنه انفعال مذموم لا يدل على تميز الفرد عادة.

ذلك أن العجب: «ظن كاذب بالنفس باستحقاق مرتبة هي غير مستحقة لها وحقيقة على من عرف نفسه أن يعرف كثرة العيوب والنقائص التي تعتورها، فإن الفضل مقسوم بين البشر وليس يكمل الواحد منهم إلا بفضائل غيره، وكل من كانت فضيلته عند غيره فواجب عليه أن لا يعجب بنفسه»[1].

فليس العجب من محامد الصفات بل من مذمومها، ذلك أن أغلب معانيه في اللغة تصدق على المفاسد والمضار السلوكية فمن معانيه.

(**أعجب**) به: عجب منه وسر، وأعجب بنفسه: ترفع واستكبر.

(**الأعجوبة**) ما يدعو إلى العجب.

(**التعجب**) استعظام أمر ظاهر المزية خافي السبب[2].

فليعلم المراهق أن إعجابه بنفسه لا يحقق له تقدماً وتفوقاً حقيقياً على أقرانه لأن أغلب المظاهر الداعية إلى العجب مادية

---

(١) الخلق الكامل (جـ ١ صـ ٣٧٠) محمد أحمد جاد المولى ـ مؤسسة الرسالة.
(٢) المعجم الوسيط (جـ ٢ صـ ٥٨٤).

محسوسة وهي مظاهر لا تبقى على حالها أبد الدهر بل هي عرضة للتبدل والتغير والتهدم،كما أن شخصية المراهق لا تستقيم باستقامة الجوانب المادية وحدها، إذ تبقى جوانب أخرى نفسية وإجتماعية ودينية لم تكمل، لأن الإغراق في الجانب المادي من الشخصية لا يسمح لها بفرصة متكافئة، فتبقى ذاتية المراهق ضعيفة في هذه الجوانب.

إن إعجاب المراهق بنفسه واستعلاءه على أقرانه غالباً ما يزيد من حسرة قلوب الذين لم تتوفر لهم هذه النعم أو بعضها وكل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً.

٢ ـ إنفعال الغرور

عرفه الإمام الغزالي: «الغرور سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهه وخدعة من الشيطان»[١].

فالغرور في أبسط صورة عبارة عن موقف نفسي يدل على شدة إعجاب المراهق بشخصيته، وما لها من خصائص مادية أو معنوية.

فسكون النفس في تعريف الغزالي يحمل معنى تكرار الموقف الإنفعالي، كما يدل على مستوى تطور الإعجاب بالذات الذي ترقى حتى بلغ درجة الإطمئنان إلى ما يتميز به من صفات وما وافق ذلك من ثراء مادي،كموقف صاحب الجنتين الذي قاده غروره إلى الكفر بالنعمة والتعالي على صاحبه الفقير، فاستهزأ به ولم يبال بشأنه، وعيره بقلة ما في ذات يده، واقتاده غروره إلى إنكار قيام الساعة وما يتلوها من بعث وحشر وحساب وجنة أو نار.

---

(١) إحياء علوم الدين (جـ ٣ صـ ٣٦٨).

قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ وَأَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[1].

إن الغرور داء نفسي لا يصيب الفرد في مراحل حياته الأولى ـ الطفولة والصباء وإنما يصاب به بعض الأفراد بدءاً من مرحلة المراهقة وما يتلوها من مراحل، وهو من الأمراض النفسية التي تظهر أعراضها مع الإنفعال الأول، وهو يدل على جهل الفرد بحقائق الأمور وطبائعها[2].

إنه الغرور يخيل لذوي الجاه والمتاع والثراء أن القيم التي يعاملهم بها أهل هذه الدنيا الفانية تظل محفوظة لهم حتى في الملأ الأعلى! فما داموا يستطيلون على أهل هذه الأرض فلا بد أن يكون لهم عند السماء مكان ملحوظ!.

فأما صاحبه الفقير الذي لا مال له ولا نفر، ولا جنة ولا ثمر... فإنه معتز بإيمانه وعقيدته، معتز بالله الذي تحنو له الجباه، فهو يجيب صاحبه المتبطر المغرور منكراً عليه بطره وكبره، يذكره بمنشئه المهين من ماء وطين، ويوجهه إلى الأدب الواجب في حق المنعم وينذره عاقبة البطر والكبر، ويرجو عند ربه ما هو خير من الجنة الثمار...»[3].

---

(١) سورة الكهف الآيات: (٣٤: ٣٨).

(٢) جاء في المعجم الوسيط من معاني الغرور (الفرارة): الغفلة وحداثة السن ويقال كل ذلك على غرارتي أي حداثة سني (جـ ٢ صـ ٦٤٨).

(٣) في ظلال القرآن (جـ ٤ صـ ٢٢٧٠).

ألا فليعلم المراهق الذي يشتد إعجابه بشخصيته أن الغرور داء مهلك لما فيه من البطر والركون لماديات الحياة ولذائذها ومشتهيات النفس الأمارة بالسوء، وكل ذلك عرضة لعامل التغير والتبدل والإنحلال والزيادة والنقصان، والقوة والضعف، والإزدهار والذبول، والإقبال والإدبار، وقد يقع فجأة على غير انتظار، والمفاجأة في حد ذاتها شديدة على النفس، تتركها هلعة مكتئبة بائسة بعد أن فقدت ما كانت تعجب به.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً﴾[1].

درجات الغرور:

إن الغرور له أشكال متعددة، ودرجات متباعدة، فغرور الكافرين يأتي في الدرجة الأولى من مراقي الغرور، لذا فهم يتصورون أن استمرار تنعمهم يدل على حب المنعم لهم وتفضيله لهم على غيرهم، وظنهم هذا يوافق الهوى الذي تميل إليه نفوسهم، ويغريهم به شياطينهم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ. فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾[2].

ويأتي بالدرجة الثانية غرور عصاه المسلمين، وحقيقته اتكالهم وودعهم الأعمال الصالحة، وإلمامهم ببعض المحظورات الشرعية

---

(١) سورة الكهف آية: (٤٢).

(٢) سورة الأنعام الآيات: (٤٤: ٤٥).

ويتوهمون أنهم يحسنون الظن بالله، فيقولون إن الله كريم حليم وأنه غفور رحيم، يضاعف الحسنات ويعفو عن السيئات.

قال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾(١).

وفرق ما بين الرجاء والإتكال فالثاني أحد مظاهر الغرور وهو مذموم ممقوت.

إن رحمة الله تعالى قد وسعت كل شيء، وهذا أمر يقيني، غير أنها ليست كلاً مباحاً يطعمه الكافر والعاصي، ولا هي ماء ثجاج يعب منه القاصي والداني، إنما مشروطة بشروط إذا توفرت في فرد نال حظه منها وافراً، وشروطها الإيمان والتقوى والإنقياد لأوامر الشرع ونواهيه.

قال تعالى: ﴿... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾(٢).

ويأتي بالدرجة الثالثة غرور المراهق، فهو في أبسط صوره وحالاته، ذلك أن المراهق يهدف منه بادىء الأمر جذب الأنظار والإعتراف بتميزه على أقرانه طمعاً في أن ينزله مجتمع الكبار منزلاً يتناسب مع نموه وتطوره، لهذا فإن غرور المراهق يمكن توجيهه وتعديله، قبل أن يتطور فيتمركز حول الذات بتكرار المواقف المناسبة لذلك، وعند ذلك يصعب توجيهه كما يحتاج تعديله إلى وقت وجهد كبير.

---

(١) سورة غافر آية (٣).

(٢) سورة الأعراف آية: (١٥٦).

المظاهر السلوكية للغرور:

تتعدد المظاهر السلوكية لغرور المراهق وتختلف باختلاف موضوعه، فالغرور بالعلوم والمعارف له مظاهر سلوكية، أبرزها التشدق في القول والمراء واللجاج والجدل مع التعاظم والتعالى على أبناء مرحلة المراهقة، والإعراض عن حديث غيره إذا تحدث بين الزملاء بقصد صرفهم عنه، لكي لا تظهر قدراته واستعداداته العملية بصورة أقوى وأفضل فيزحزحه عن مكانه بين زملائه، فيكثر الثرثرة أثناء حديثه للتشويش والتلهية.

إن المراهق المسلم يجب أن يعلم أن هذا النمط السلوكي مذموم مستقبح لأنه يدفع حتماً إلى تزييف القول رغبة في إظهار التفوق على القرناء، وإنه لأمر ينبغي الحذر منه خاصة مع جماعة النظراء من أبناء هذه المرحلة، ذلك أن المراهق بالطبع والعادة يميل إلى الإجتماع مع أبناء سنه، حيث تتشابه الميول وتتلاقى الرغبات، أما الغرور فإنه يبعد صاحبه عن جماعته لأنه...

«لا يزال يغضب من صاحبه ويزدري مروءته، ويتطلب عيوبه، ويتتبع عثراته، ويبالغ في أساءته، حتى يؤدي بهم الحال إلى العداوة التامة التي تصحبها إزالة النعم... فالمراء واللجاج لا يثبت معهما محبة، ولا ترجى بهما ألفة، ولا يولدان إلا الشتات والفرقة والتباغض بين الإخوان»[1].

---

(١) الخلق الكامل (جـ ١ صـ ٣٧٢).

الغرور بالمال:

ومظهره الإعتماد عليه والإطمئنان إليه والإسراف في صرفه، وكثرة الحديث عن أسرته وميزانيتها المالية وتعدد الميادين التي تصرف فيها أموالها إلى غير ذلك، وحين يعلم المراهق المسلم حدود الموقف الصحيح من كل ذلك لا يتذمر ويكف عن الغرور.

قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا أَتَاكَ اللَّهُ الدَارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَى نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبَّ الْمُفْسِدِينَ﴾[1].

الغرور بالصحة والجمال

مظهره التبختر والخيلاء والمرح وتصعير الخد، وكل ذلك سيء مكروه، لأنه ناشيء عن عمل الشيطان ووسوسته في الصدور، وإن في وصية لقمان لابنه وهو يعظه ما يهدي إلى أقوم سبيل، قال تعالى:

﴿يَا بُنَيّ أَقِمِ الصّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَلاَ تَصَعّرْ خَدّكَ لِلنّاسِ وَلاَ تَمْشِي فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنّ اللَّهَ لاَ يُحِبّ كُلّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[2].

والمشي في الأرض مرحاً هو المشي في تمايل وتصنع وإنفة وقلة مبالاة، رغبة في إعلان التمايز بالرقة والدقة والجمال، وتجيء

---

(١) سورة القصص آية: (٧٧).

(٢) سورة لقمان الآيات: (١٧: ١٩).

هذه الوصية في وقتها المناسب مع بداية الإحساس بالحيوية والفتوة والشباب وهي سمات بارزة في المراهقة، قد يندفع المراهق معها في تهور وغير مبالاه إلى سلوك المرح والتبختر، وهما من أنواع السلوك الذي يمقته الله ويمقته عباده المتقون، وهذا السلوك هو تعبير عن شعور نفسي مريض، وتصور لمقومات الذات غير سديد، ولهذا بدأ لقمان وصيته لابنه بتوحيد الله سبحانه وعبادته وطاعته وإقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ما يواجهه من مشاق في هذه الحياة إن توحيد الله وعبادته هي الضمانات الأساسية للسلوك المتزن في المراهقة وغيرها من مراحل العمر.

يؤسس القرآن الكريم المشية المعتدلة التي لا تميل ولا عن الإعتدال تحيد.

(**واقصد في مشيك**) والقصد ضد السرف وهو الإعتدال المطلوب الذي يحفظ الطاقات ـ الحيوية الدافقة في المراهقة ـ لتبذل فيما يفيد، فالمشية المعتدلة تعبير عن احترام الشخص لذاته، وإدراكه لحقيقة مقوماته، (**واغضض من صوتك**) والصوت وسيلة هامة للظهور المنبعث عن الغرور، فما أكثر رفع الغرور لصوته، لبيان نواحي امتيازه عن أقرانه ونظرائه، وهو دائما يحيد عن الحق ويبتعد عن الواقع، فيجعل من رفع صوته ساتراً يخفي به كذبه واختلاقه في كثير من الأوقات.

والقرآن الكريم يهدي إلى أن غض البصر أدب ذاتي يدل على ثقة الفرد بذاته واطمئنانه إلى صدق بياناته ومعلوماته.

ولقد صور القرآن الكريم المغرور المختال إذ يرفع صوته ويميل به عن حد الإعتدال تصويراً قبيحاً ينفر منه ذوو الطبع السليم[1].

---

(١) انظر في ظلال القرآن (جـ ٥ صـ ٢٧٩٠).

٣ ـ انفعال الكبر:

التعريف بالكبر: شعور يعتمل في نفس الفرد فيدفعه إلى الترفع والتعالي والتعاظم على غيره وهضم حقه.

أقسام الكبر:

قسمان: ١ ـ ظاهر ٢ ـ باطن

فالباطن: هو خلق في النفس، وهو الإستروا ح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه.

والظاهر: أعمال تصدر عن الجوارح وهي ثمرات لذلك الخلق[١].

إن الكبر سلوك إنفعالي خطير يؤدي إلى انحراف المراهق في خلقه وأنماط سلوكه، وهو من أبرز المظاهر الدالة على سوء تكيف المراهق مع نفسه وبيئته الإجتماعية.

ويرجع الكبر في أصله إلى شعور المغرور بتميزه وتفوقه على نظرائه في بعض الصفات ـ الجسمية ـ والعقلية والإجتماعية ـ وغالباً ما يكون المراهق مغالياً في هذا الشعور، وكثيراً ما يكون نصيبه من صفات التميز بسيطاً ضئيلاً، أو منعدماً في بعض وجوهه، ولكن الرغبة الجامحة في الإستعلاء تعميه عن إدراك مواطن الضعف والخلل في شخصيته.

ولما كان الكبر مرضاً نفسياً خطيراً في أي صورة من صوره فقد فظع الله أمره في القرآن الكريم وحمل على المستكبرين وتوعدهم

---

(١) إحياء علوم الدين (جـ ٣).

بالخلود في الجحيم، وقد تكرر ذكر الكبر والمستكبرين وما توعدهم الله سبحانه وتعالى به في مثل قوله تعالى:

﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[1].

وروى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: ـ«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة. قال: ـ«إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق وغمط الناس»[2].

يبين الحديث حقيقة الكبر الممقوت، وهو جحود الحق والإستعلاء عن قبوله، وهذا الموقف السلوكي يدل على نفسية غير متكيفة تبدو عليها مظاهر الأنانية، التي ترفض أن يكون لغيرها فضل البيان والنصح والتذكير والدلالة على الخير فتستعلي عن اتباع غيرها، وإن كان الحق الذي يدعو إليه واضحاً تمام الوضوح لا لبس فيه ولا غموض، ورفض الحق راجع إلى علة شعورية بالنفس قائمة، يرى صاحبها من خلالها أنه أرفع مكانة وأجدر بالتقدم والسبق، كما يرى أن الآخرين في مرتبة دنيا، وينشأ عن ذلك تداخل في تصور الفرد لشخصيته ورأيه، فيحدث من ذلك امتزاج بين شخصية الفرد ورأيه ويصعب عليه الفصل والتفريق بينهما، وعند ذلك يعتبر طواعيته لغيره وقبوله لرأيه يؤثر تأثيراً سلبياً على شخصيته فيضعفها ويقلل من قيمتها وينزلها من برجها العاجي الذي يعمل جاهداً على أن تظل محلقة فيه، فيدفعه تيار النفس الجامحة لرفض الحق وعدم قبوله

---

(١) سورة النحل آية: (٢٢: ٢٣).

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب تحريم الكبر.

ويلتمس دليلاً واهياً ليدعم حجته ويقوي برهانه، فلا يجد له سبيلاً، فيعمد إلى الإستعلاء والتعاظم وذكر المحامد وغير ذلك من مظاهر الأنفة والعظمة والكبرياء، ويتخذ من كبريائه ستاراً يتقي به، ويستعلي عن الرجوع إلى الحق والإنصياع له، وأما غمط الناس، فهو احتقارهم والإستهانة بشخصياتهم والترفع عن مجالستهم ومشاركتهم، ولا يعترف لهم بحقوقهم الأدبية وما يتمتعون به من صفات فاضلة وأخلاق كريمة.

ألا ان الكبر خلق ذميم يميل بصاحبه عن الحق والخير والفضيلة الأخلاقية. وحرى بالمراهق المسلم أن يتحقق من داء الكبر والإستعلاء وأن يعرف صفته ليحصن نفسه وليسلك سبيل المؤمنين، فيتواضع في غير مذلة، ويعرف لكل ذي حق حقه، ولا يعطي لنفسه غير ما تستحقه، ويمتعها بما أحل الله من طيبات، دون إسراف.

٤ ـ انفعال السفه

يتعرض بعض المراهقين لإنفعال السفه ومظهره الإستهتار وعدم المبالاة والخفة والطيش والجهل والحمق واضطراب السلوك، وهذه المظاهر الإنفعالية لا يمكن عزوها إلى دافع نفسي واحد أو مظهر نمائي واحد، كما لا يمكن عزوها إلى البيئة الإجتماعية وحدها.

ذلك أن عزو انفعال السفه إلى رغبة المراهق في الزهو والظهور وجذب انتباه الأفراد نحوه قد يصدق على بعض المواقف والحالات ولا يصدق على مواقف أخرى حتى مع المراهق الواحد، فلكل حالة ظروفها ولها من الدوافع ما يميزها عن غيرها. وإن عزو هذا الإنفعال إلى مظهر نمائي واحد كالنمو الجسمي أو النمو العقلي مثلاً:

حيث يعتقد البعض من الباحثين أن النمو الجسمي وراء اندفاع المراهق واستهتاره وعدم مبالاته بعواقب الأمور، حيث إن المراهق لم

يصل بعد إلى مستوى النضج العقلي لذا تصدر عنه بعض الأنماط السلوكية الدالة على عدم تعقله، وهذه كالسابقة من حيث صدقها على بعض المواقف وعدم صدقها على أخرى.

كما أن عزو هذا الإنفعال إلى البيئة الأسرية والإجتماعية والأنماط السلوكية السائدة فيها فإنه يصدق على البيئات التي لا تعنى بالتربية وفق منهج القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ولا يصدق على البيئة التي تعني بالتربية الإسلامية.

إن هذه العوامل ـ مجتمعة ـ ذات تأثير على هذا الإنفعال كغيره من الإنفعالات التي يكون بروزها في المراهقة أكثر منها في مراحل العمر الأخرى، ولا يعني هذا تساوي كل منها في مستوى إثارة الإنفعال، بل يساهم كل منها بنصيب حسب طبيعة الموقف.

«وكل سفيه لا محالة جاهل لأن السفه كله جهالة، وقد لا يكون الجاهل سفيهاً لأنه في كثير من الأشياء يحزم ويحذر ويتحرز مخافة أن يوقعه جهله فيما لا طاقة له بدفعه، ويوبقه فيما لا يقدر على التخلص منه، لا سيما إذا علم أنه بين أهل المعرفة والنبل وأرباب النباهة والفضل...

والسفيه قد استوى عنده الخير والشر واقترن عنده النفع والضر، فهو يمضي عزائمه على ما سولت له نفسه وينفذ آراءه على ما خيل له نظره وحدسه من غير روية ولا تفكر فهو لا يمل العثار ولا يستحي من العار، ولا يرى ما يجنبه الإعتذار»[1].

إن السفيه لا يثبت على حال، ولا يهتم بحقائق الأمور، بل يتردد بين الإيجاب والرفض للشيء الواحد، لبساطة تفكيره وتدني

---

(١) الخلق الكامل مصدر سابق (جـ ٤ صـ ٤٧٩).

مستوى تعقله وإدراكه وفساد تربيته، وهذا السلوك الإنفعالي يوجد في المراهقة كما يوجد في غيرها من مراحل العمر الأخرى، مصداق ذلك قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِينَ﴾[1].

٥ ـ انفعال الفتوة

الفتوة مظهر انفعالي يدل على حيوية المراهق وقدرته على المواجهة لمتطلبات حياة الراشد كما يدل على تفاعله مع بيئته الإجتماعية التي يعيش فيها، من خلال انفعاله للقضايا العامة التي تواجهها في حياتها الحاضرة والمستقبلة. لذا نلاحظ تفاعل المراهق مع القضايا العامة كالعدل والحرية والشورى وعدالة التوزيع والأمن الإجتماعي، كما يتفاعل مع قضايا أمته السياسية ـ الداخلية والخارجية ـ ويبدو إنفعال الفتوة بصورة أوضح عندما تتعرض مهابة أمته حيث تنال منها أمة أو دولة أخرى أو أن تعرّض بها، فتراه يندفع بروح فدائية شجاعة معلناً عن رغبته في فداء أمنه بروحه ودمه، وقد تجلت هذه الروح في قصة عمير بن أبي وقاص، إذ كان يتوارى خلف الصفوف في غزوة بدر الكبرى وكان يومها فتى في الرابعة عشرة من عمره، وقد خشي أن يراه رسول الله ﷺ فيرده لصغر سنه، فلما رآه أخوه سعد رضي الله عنهما كشف له عمير عن مكنون سره، كما أعلن أنه يتمنى أن يرزقه الله الشهادة فلما رآه رسول لله ﷺ رده لصغره، فظل رضي الله عنه يبكي حتى أجازه، وكان له ما تمنى على الله، ولقد سادت روح الفتوة أمثال عمير من المراهقين والشباب الذين اشتركوا في غزوة

---

(١) سورة البقرة آية: (١٠٣).

بـدر، ولقد سـادت هذه الـروح الإنفعاليـة المتعقلة المـدركـة لأبعـاد المـواقف الكبرى ـ في غـزوة أحـد حيث قبـل رسـول الله ﷺ إلحـاح المراهقين والشباب للخروج إلى ملاقاة المشركين خارج المدينة[1].

إن الفتوة لا تعني ما تبادر إلى أذهان العامة عنـد إطلاقهـا، إنما تعني جملة من السلوك الفاضل كالكرم والشجاعة والمـروءة والنجدة، وكف الأذى عن الناس واحتماله منهم والصفح عن عثراتهم.

«إن الفتـوة تدعـو إلى نبل التصـرف، والتـرفـع عن الصغـائـر، والإبتعاد عن الدنايا، والسماحة في المعاملة، والتنزه عمـا يستحي منه الكريم»[2].

إن طابع الفتوة الثبات والإطمئنان وقوة العزيمة، ومضاء الإرادة، والتمسك بالحق الأزلي، ومناهضة الشرك وإن ساد زمناً وعلا طغيـانه. مصداق ذلك قوله تعالى:

﴿نَحْنُ نَقُصّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقّ إِنّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـاهُمْ هُـدىً * وَرَبَـطْنَـا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَـامُـوا فَقَـالُـوا رَبُّنَـا رَبُّ السّمٰـوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَـدْعُوَ مِنْ دُونِـهِ إِلٰهاً لَقَـدْ قُلْنَا إِذاً شَـطَطاً * هَؤُلاَءِ قَـوْمِنَـا اتّخَـذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَـةً لَوْلاَ يَـأْتُـونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً﴾[3].

لقد رفض الفتية ـ في ثبات واطمئنان وعزيمة قوية ـ طاعة المـلأ في معصية الله.

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام.
(٢) موسوعة أخلاق القرآن (جـ ٢ صـ ٧٣).
(٣) سورة الكهف الآيات: (١٣ : ١٥).

٦ ـ انفعال الخوف:

الخوف: «انفعال يحدث في النفس لتوقع ما يرد من المكروه أو يفوت من المحبوب»[١].

وهو نوعان:

١ ـ خوف من الله عز وجل.
٢ ـ خوف من سواه.

والأول مظهره: طاعة الله والخشية له والحذر من مخالفته.

والثاني مظهره: الترقب والإنتظار لحلول المكروه.

إن المراهقة تمتاز بكثرة المخاوف التي تلقي بظلها المعتم على نفسية المراهق، فيخاف من الموت وكأنه شبح يتربص به يريد أن ينقض عليه، ويخاف من الفقر المتوقع وربما يكون خوفه منه أشد من الواقع في بعض الحالات، ويخاف فوات الرزق، وقد يدفعه خوفه إلى طلبه من غير وجهه، ويخاف المرض متوقعاً أو واقعاً كما يخاف فوات الصحة، ويخاف من التخلف الدراسي ويخاف من الله عز وجل ويخشى غضبه ونقمته.

إن الخوف من الله عز وجل يدل على استقامة المراهق واتزانه الإنفعالي، بعكس المخاوف الأخرى جميعها فإنها تدل على اضطراب وقلق المراهق.

إن منهج القرآن الكريم في التربية النفسية منهج لا نظير له في جميع النظريات التربوية الغابرة والحاضرة، فهو يربي الفرد ـ مراهقاً وشاباً ورجلاً ويقوده إلى الحق والخير والبر ويأخذ بيده إلى مستويات

---

(١) المعجم الوسيط (جـ ١ صـ ٢٦٢).

الكمال البشري الممكنة، ووسيلته إلى ذلك المرتقى بعث شعور الخوف من الله عز وجل وهيبة جلاله واستحضار عظمته وإحاطة علمه سبحانه بما نأخذ وما ندع ويحيط علمه بما ظهر وما استتر من الأفعال والأقوال.

إن بعث هذا الشعور وإنسيابه في نفس المراهق يعمل على تقويم شخصيته ويمده بطاقات واستعدادات ذاتية ومعنوية قوية تتكسر على قاعدتها كل مخاوف المراهق من دون الله ويختفي مع هذا الشعور كل رهبة لما دون الله.

إن خوف المراهق المسلم من الله عز وجل يضفي على شخصيته قوة واعتزازاً واستعلاء على مخاوف الحياة الدنيا وأمناً من مخاوف الآخرة، كما يضفي على سلوكه انضباطاً وهدوءً راشداً، كما يضفي على نفسيته الشعور بالقناعة والرضا، وبذلك يستحق أن يستظل بظل الله يوم لا ظل إلا ظلّه.

٧ ـ انفعال الرجاء

الرجاء: هو ترقب حصول مأمول يتمنى المراهق وقوعه، وهو ضد الخوف.

إن الرجاء في المراهقة يتميز بكثرة موضوعاته وتنوعها، فما أكثر ما يرجو المراهق في هذه الفترة النمائية التي تقف به على عتبة عالم جديد، حيث يتسع خياله في هذه المرحلة، ولعله أحد الأسباب الكامنة وراء كثرة وتنوع موضوعات رجائه.

إن موضوعات الرجاء في المراهقة كثيراً ما تجنح إلى الجانب المادي من الحياة، حيث تأتي بسطة الجسم في مقدمة موضوعات الرجاء، فيرجو المراهق نمواً بدنياً متناسقاً متكاملاً مصحوباً بتمام الصحة واكتمال القوة، كما يرجو أن يكون متفوقاً في كثير من

المهارات الحركية وأن يكون متميز الآداء في كل ذلك.

يرجو المراهق حصول الثراء المادي ورغد العيش لنفسه خاصة ولأسرته.

يرجو المراهق تبوأ مكانة مرموقة في الهيئة الإجتماعية، كما يرجو ذلك لأفراد أسرته أو لبعضهم ليباهي بهم.

كما يرجو تفوقاً دراسياً متميزاً عن باقي الزملاء، كما يرسم في خياله طموحاته بعد التخرج.

يرجو المراهق من الله عز وجل أن يغفر له سيئاته التي زلت إليها قدمه، ويأمل من الله سبحانه أن يجبر تقصيره في الفروض والواجبات ـ الدينية ـ وأن يوفقه إلى العمل الذي يرضيه عنه لما في ذلك من الإحساس بالأمن والإطمئنان والإستقرار النفسي.

«إن النفس ـ بطبيعتها ـ لتخاف وترجو. هكذا ركب في فطرتها... حيث يولد الطفل وفيه هذان الإستعدادان متجاورين. يخاف الظلمة ويخاف الوحدة. ويخاف السقوط ويخاف الإصطدام ويخاف المناظر التي لم يألفها والأشخاص الذين لم يألفهم... ويرجو.. يرجو الأمان والراحة والدفء والإستقرار في حضن أمه وهو يرضع، وبعد ذلك في حضن أمه وفي حجر أبيه وفي يدي من يستريح إليهم من الناس، وينمو الطفل وينمو معه هذان الخطان المتقابلان، وتتنوع المخاوف ويتنوع الرجاء، ولكن الخطين هما هما في تقابلهما وإزدواجهما يحددان له مشاعر الحياة واتجاهاتها»[1].

إن موضوعات الرجاء في المراهقة لا تقف عند حدود إمكانات وقدرات المراهق، كما أنها لا تقف ـ في بعض الأحيان ـ عند حدود

---

(١) منهج التربية الإسلامية (صـ ١٥٥) محمد قطب.

بيئته الإجتماعية والمادية بل تتعداهما إلى بيئات أخرى يعتقد أن مناخها مناسب لإستغلال قدراته وإمكانياته.

إن الإسلام ـ في كتابه القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ ـ لا يقاوم هذه الرغبة الإنفعالية، إنما ينظمها ويقوم مسارها ويحدد لها الإتجاه الصحيح، في مثل قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[1].

تعالج الآية أحد موضوعات الرجاء الهامة في المراهقة وغيرها من مراحل العمر، فتبث في النفس عوامل الطمأنينة والإستقرار بضمان الرزق مع سعته، وتحدد له الإتجاه الصحيح لما يرجو ويأمل.

إن القرآن الكريم لا ينكر على الفطرة البشرية أن ترجو تحصيل ألوان من النعيم والطيبات التي أحلها الله، ولا أن تستمتع بأنواع الزينة التي أخرجها الله للناس على أن يكن الاستمتاع في حدود ما شرع، إنما ينكر عليها العيش في خضم الآمال الكاذبة، وهي تشمل كل موضوعات الرجاء التي لا تتناسب مع قدرات واستعدادات وإمكانات الفرد، كما ينكر عليها أن يكون رجاؤها محصوراً ومقصوراً على ماديات الحياة ومتعها دون أن تحسب حساباً للحياة الآخرة وهي الحياة الأبدية الباقية.

إننا نلاحظ رغبة جامحة لدى المراهقين في مجتمعنا للإنطلاق في مجالات العمل المختلفة ـ منذ بدء إجازة العالم الدراسي ـ في الداخل والخارج، غير أن هذه الرغبة مشوبة ببعض المخاوف الداعية

---

(١) سورة النساء آية: (١٠٠).